# مصادر السيرة النبويّة وتقويمها

الشيخ محمّد هادي اليوسفي

لعلّ النظر إلىٰ تراث السلف الصالح ـ ولاسيّما سيرة الرسول الكريم ـ علىٰ نحو التقديس، هو الذى أدّىٰ بالمؤلّفين في السيرة علىٰ اختلاف طبقاتهم أنْ لايقفوا موقف الناقد البصير، فلم نرَ منهم من يعرض لما تحمله السيرة بين دفتيها من أخبار ضعيفة بعيدة عن الحقيقة لينقدها ويأتي علىٰ نقاط الضعف فيها، فهذا ماحرمه هذا العلم من جميع أدواره السالفة وامتدادها إلىٰ العصر الحاضر، حيث أخذ المستشرقون والمتأثّرون بهم يتناولون خبراً أوْ خبرين من السيرة وسيلة للطّعن في شخص النبي الكريم صلّىٰ الله عليه وآله أوْ مايتصل به، فآمن بعض أصحاب الأقلام الجديدة بأنّ في السيرة أخباراً لاتمتّ إلىٰ الحقّ بصلة في قليل ولاكثير، ثمّ تجرّأوا فأقدموا علىٰ تهذيب السيرة مِمّا اُلصق بها وهى ليست منها، كقصة شقّ الصدر والغرانيق[1] وغرام الرسول صلّىٰ الله عليه وآله بزوجة زيد ربيبه!

إنّ سيرة محمد صلّىٰ الله عليه وآله كسائر العظماء اُضيف إليها ماليس منها، إمّا عن حبٍ وهوىٰ وحسن نيّة وطويّة، وإمّا عن حقد وسوء قصد متعمّد، ولكنّها تمتاز

(١) انظر ملخّص القصّة في الصفحة التالية.



www.noormags.com

عن سير جميع العظماء بأنّ شيئاً كثيراً منها ضمّه الوحي الإلهي وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيراً منها مرويّ علىٰ لسان الحفّاظ الثّقات من المحدّثين. فعلىٰ هذه الأسس الصحيحة يجب ان تُبنىٰ السيرة، وان تُحلّل التحليل العلميّ النزيه بملاحظة ظروف الوسط وحال البيئة وجوانبها المختلفة من عقائد ونظم وعادات وتقاليد وطقوس، وأن لايبُنىٰ الأساس علىٰ المعجزات والكرامات وخوارق العادات إلّا ماخرج بالدليل بل يُبنىٰ علىٰ أساس «إنّ اللّه أبىٰ أن يجري الأمور إلّا بأسبابها»[1] اللهمّ إلّا ما خرج بالدليل الثابت المعقول.

**الخلاف في كتب السيرة وبينها**

إنّ الدارس لكتب السيرة والتأريخ يلاحظ أنّ ماروته من أنباء الخوارق والمعجزات وغيرها من كثير من الأنباء، ينقص ثمّ يزيد بزيادة الأزمان التي وضعت فيها هذه الكتب، فقديمها أقلّ رواية للخوارق من متأخّرها، وماورد من الخوارق في الكتب القديمة أقلّ بعداً عن مقتضىٰ العقل ممّا ورد في كتب المتأخّرين.

فهذه سيرة ابن هشام أوْ قُل: ابن إسحاق أقدم السير المعروفة اليوم تغفل كثيراً ممّا ذكره أبو الفداء في تأريخه، وما ذكره القاضي عياض في (الشفاء) ومن جميع كتب المتأخرين تقريباً.

فلابدّ للباحث من أنْ يقبل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فما صدّقه هذا المقياس أقرّه وأقرّ به وقرّ به، وما لم يصدّقه فلا يورده بل يردّه[2].

(١) أُصول الكافي.

(٢) مثلاً: إنّ قصة الغرانيق التي تذهب إلىٰ أنّ النبي (ص) لمّا ضاق ذرعاً بسادات قريش تلا عليهم سورة



www.noormags.com

وهناك سبب آخر يوجب تمحيص ماورد في كتب السلف ونقده نقداً علمياً دقيقاً، هو إنّ أقدمها كُتب بعد وفاة النبي (ص) بمئة سنة أوْ أكثر، وبعد أن فشت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية كان اختلاق الروايات والأحاديث من وسائلها للغلبة علىٰ خصومها، فكيف بما كتب متأخراً في أشدّ أزمان الأضطرابات والقلاقل؟ فكيف بما ورد في المتأخّر من كتب السيرة؟ فهل يمكن الأخذ به بدون تمحيص بدقّة علميّة؟ وقد أدّت المنازعات السياسية وغيرها الّتي حدثت بعد الصدر الأول من الإسلام، إلىٰ اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها، هذا والحديث لم يدوّن إلىٰ أواخر عصر الأمويين. ذلك لأنّ عمر عزم علىٰ ذلك فأصبح يوماً يقول: إنيّ كنت أردت أنْ أكتب السنن، ثمّ عدلت عن كتابتها، فإنّي والله ـ لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً! ثمّ كتب إلىٰ الأمصار بذلك يقول: من كان عنده شيء غير القرآن فليمحُه! وظل الأمر كذلك ـ ما عدا عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وابنه الحسن عليهما السلام ـ حتّىٰ أمر عمر بن عبد العزيز

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

النجم حتّىٰ إذا بلغ فيها إلىٰ قوله سبحانه «أفرأيتم اللات والعزّىٰ ومناة الثالثة الأُخرىٰ» أضاف إليها «تلك الغرانيق العلىٰ منها الشفاعة ترتجىٰ» ثم أتمّ السورة فسجد وسجد المسلمون والمشركون!

وقد رواها ابن إسحاق ثم قال: إنّها من وضع الزنادقة. وذكرها ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) فقال «ذكروا قصّة الغرانيق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها في مواضعها، إلّا أنّ أصل القصة في الصحيح» ثم ذكر حديثاً عن البخاري في أمرها وأردفه بقوله «إنفرد به البخاري دون مسلم».

أمّا الّذي يتخذ عصمة الرسول في تبليغ الرسالة مقياساً للأخذ والردّ، فلايتردد في نفي القصة من أساسها، بل يتّفق مع ابن إسحاق في أنّها من وضع الزنادقة، ويكتفي في ردّها بما فيها من نقض ما للرسول من عصمة في تبليغ رسالة ربّه، كما تقتضي ذلك قواعد النقد العلمي، كما فعل هيكل في كتابه: ٤٨ و ١٦١ ـ ١٤٧.



www.noormags.com

بجمع الحديث.

أمّا كيفية رواية البخاري قصة الغرانيق ـ مثلاً ـ؟ فقد اعتذر عن مثل ذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم قال: «أخذ جماعة علىٰ البخاري ومسلم أحاديث أخلاّ بشرطيهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه» وقد التزما بمقياس السند والثقة بالرواية في قبول الحديث ورفضه، ولكنّه وحده غير كاف لذٰلك.

بل إنّ خير مقياس يقاس به الحديث والخبر عن النبي ما روي عنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنّكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فاعرضوه علىٰ كتاب اللّٰه فما وافقه فمنّي وماخالفه فليس منّي» فهو مقياس صحيح أخذ به كثير من الثقات، وهو يتفق مع قواعد النقد العلمي، وقال ابن خلدون بشأنه: «إنّني لا أعتقد صحة سند حديث ولاقول صحابي عالم يخالف ظاهر القرآن، وإنْ وثقوا رجاله، فَرُبَّ راوٍ يوثق للإغترار بظاهر حاله وهو سيّء الباطن. ولو انتقدت الروايات من جهة فحوىٰ متنها كما تنتقد من جهة سندها لقضت المتون علىٰ كثيرٍ من الأسانيد بالنقض. وقد قالوا: انّ من علامة الحديث الموضوع: مخالفته لظاهر القرآن، أوْ القواعد المقرّرة في الشريعة، أوْ لبرهان العقل، أوْ الحسّ والعيان وسائر اليقينيّات»[1].

حقّاً إنّ اختلاف المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بلغ حدّاً دعا الدعاة فيهم إلىٰ اختلاق الآلاف المؤلّفة من الأحاديث والروايات.

لمّا قُتل عثمان وبدأت الحروب الداخلية بين المسلمين بخصومة خصماء علي عليه السلام، وأيّد أمير المؤمنين من أيّده، ثمّ استتبّ الأمر لبني أُميّة جعل المحدّثون المتّصلون ببني أُميّة يضعّفون مايُروىٰ عن علي بن ابي طالب عليه السلام وفضائله، وكما

(١) مقدمة ابن خلدون.



www.noormags.com

جعل أنصار عائشة يشيعون عنها مايؤيّد دعواها.

ومن طريف مايُروىٰ في ذٰلك: ماروا ابن عساكر: أنّ إسماعيل بن المثنىّ الاسترآبادي كان يَعِظُ بدمشق، فقام إليه رجل فسأله عن قول النبيّ: أنا مدينة العلم وعلي بابها؟ فأطرق إسماعيل لحظة ثمّ رفع رأسه وقال: نعم لايعرف هذا الحديث عن النبيّ إلّا من كان في صدر الإسلام، إنّما قال النبيّ: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعليّ بابها! فسُرّ الحاضرون بذلك، ولكنّهم إذ طلبوا منه إسناده اغتمّ وظهر عجزه!. أجل، هٰكذا كانت الأحاديث تلفّق لأغراض سياسية ولأهواء عاجلة حتّىٰ كَثُرت وشاعت.

هٰذا، وقد تولىٰ كتّاب السيرة كتابتها ـ كما مر خبرها ـ للخلفاء: فابن إسحاق كتب سيرته للمنصور وابنه المهدي، والواقدي كتب مغازيه للرشيد ووزيره يحيىٰ بن خالد البرمكيّ، اللهُمَّ إلّا هشام الكلبي والمدائني فإنّهما لم يكتبا لأحد منهم، ولكنّهم كلهم ماكان لهم أنْ ينازعوا مع الخليفة في آرائه خوفاً منه، ولذٰلك فإنه لا تنطبق علىٰ كتابتهم مقاييس الصحة بدقّة.

ومن أمثلة الإختلاف في النقل الذي يبدأ بذكر معجزة نراها تزيد بزيادة الزمان إلىٰ معاجز: ماحدث في أثناء مسيرة جيش العسرة إلىٰ تبوك:

فقد روىٰ ابن هشام قال «قال ابن إسحاق: فلمّا أصبح الناس ولاماء معهم شكوا ذلك إلىٰ رسول الله صلى الله عليه (وآله) فدعا رسول الله، فأرسل اللّه سحابة فأمطرت حتّىٰ ارتوىٰ الناس واحتملوا حاجتهم من الماء».

أمّا صحيح مسلم فيروي قصة تبوك بصورة أُخرىٰ لاتقتصر علىٰ هذه المعجزة بل تزيدها زيادة كثيرة علىٰ غير ماورد في سيرة ابن إسحاق:

فقد روىٰ مسلم في صحيحه بسنده عن معاذ بن جبل: «أنّ النبي قال لمن سار معه إلىٰ تبوك: انّكم ستأتون ـ إنْ شاء الله ـ غداً عين تبوك، وانّكم لن تأتوها حتّىٰ



مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي
www.noormags.com

يضحىٰ النهار، فمن جاءها منكم فلا يمسّ من مائها شيئاً حتىٰ آتي. فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشرك تبضّ بشيء من ماء. فسألهما رسول اللّه: هل مَسَسْتمَا من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، فسبّهما النبي وقال لهما ماشاء اللّه أنْ يقول (!) ثمّ غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتّىٰ اجتمع في شيء غسل رسول اللّه فيه يديه ووجهه ثمّ أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر ـ أوْ قال: غزير ـ حتّىٰ استقىٰ الناس، ثمّ قال: يامعاذ يوشك ـ إنْ طالت بك الحياة ـ أنْ ترىٰ ماها هُنا قد مليء جِناناً»[1] فهل ارتوىٰ المسلمون في طريق تبوك بماء العين المنهمر ـ بعد السباب! ـ أَليس في القليل الأول غنىً عن الثاني الكثير؟! اللهُمَّ إلّا أنْ نبني علىٰ ترجيح الحديث الأكثر إعجازاً ولانقتنع بالقليل منه!

هذا وقد روىٰ ابن إسحاق بعد روايته خبر السحابة خبراً آخر يؤيده قال: «فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قُلتُ لمحمود بن لبيد: هَلْ كان الناس يعرفون النّفاق فيهم؟ قال: نعم واللّه إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيهِ ومن أبيهِ ومن عمّهِ وفي عشيرتهِ، ثمّ يلبس بعضهم بعضاً علىٰ ذلك، ولقد أخبرني رجال من قومي قالوا: لمّا كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول اللّه حين دعا فأرسل اللّه السحابة فأمطرت حتىٰ ارتوىٰ الناس قالوا: اقبلنا علىٰ رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول اللّه حيث سار، فقلنا له: ويحك! هل بعد هذا شيء؟ فقال: سحابة مارّة» اللهُمَّ إلّا أنْ يكون ذكر كثرة النفاق في بعض الصحابة ممّا يشنع ذكره ويسوء بعض الناس، وان كان لم يحذفه ابن هشام، واختار مسلم ماسلم من ذكره، وهذا هو الراجح في الظن.

---

(١) صحيح مسلم ٧: ٦٠ ط ١٣٣٢.



www.noormags.com

## شرائط دراسة التأريخ

لا شكّ في أنّ البحث في التأريخ أمر خطِر وعمل شاق جداً، فالباحث فيه كمن يريد أنْ يلج بحراً خضماً هائجاً، وإنّما يمدّ ببصره الىٰ قاعه ليغنم منه لئاليه ودراريه.

والباحث في التأريخ إنْ كان يطمح من بحثه الىٰ إحقاق الحقّ وازهاق الباطل، فإنه لايتسنىٰ له ذلك إلّا إذا كان واسع الإطلاع، بعيد النظر، شديد الحب للحق، موطّناً نفسه علىٰ اتّباعه، مبتعداً عن التعصب المذهبيّ المقيت، ورعاً في إصدار الأحكام، خبيراً بطرق الاستنباط، عارفاً بأمراض التأريخ وعلله، مُلمّاً بظروفه ومراحله، مؤثراً مصلحة الإسلام والمسلمين علىٰ ماسِواها، متحرر الفكر، غير مشدود لما وَرّثه من أهله وقومه. وذلك لمساس التأريخ ـ ولاسيّما سيرة الرسول الكريم ـ بمختلف نواحي الحياة: فمنه تؤخذ العقيدة الدينية، وأحكام الإسلام، ومعارفه وعلومه، وأدبه وأخلاقه، و علىٰ أساسه تقول الأجيال كلمتها في كل شيء، وفي ضوئه تحكم علىٰ كل شيء.

وقد ابتلىٰ التأريخ والسيرة ـ ككثير من الأمور ـ بنظرتين مفْرطة وأُخرى مفرّطة:

فمن مقبل علىٰ التأريخ والسيرة مكبّ علىٰ أخذ مافيه، غثّه و سمينه، ينتهل منه ريّه في كلّ جوانب الحياة، ويعتبره من أسلم المسلّمات بها، دون حذر عمّا داخله من الدسّ والخرافات بعيداً عمّا نبّه إليه الرسول من حتميّة ظهور المفترين عليه، غير معتبر بما اعترف به الزنادقة الملحدون مِمّا رواه المؤرخون: أنّهم وضعوا آلاف الأحاديث كذباً علىٰ اللّه ورسوله حلّلوا بها الحرام وحرّموا بها الحلال، وأزالوا بها الحقّ عن نصابه، وزوّروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة وافتعلوا الكرامات والمناقب حبّاً في المال والمناصب.

وآخرون فرّطوا فيه فغلّبوا التشاؤم وتنكّروا للتأريخ جملةً وتفصيلاً، اتهموه



www.noormags.com

ببعض مافيه وتحاملوا عليه، وجعلوا ذلك حجة لإعراضهم عنه وابتعادهم منه. وذلك ظلم قبيح وفصم لعرىٰ الأجيال، وحرمان للمتأخرين من دروس الماضي، وهدم لبناء الدّين وطعن في تعاليم الأنبياء الّذين حثّوا علىٰ تدارس الماضي والإستماع إليه، مع تمحيص الحقّ عمّا علق به من شوائب الباطل.

وبين هاتين النزعتين المفرطة والمفرّطة تنجلي الحقيقة بإهتمام مفكّري المسلمين وعلمائهم بالدراسات التأريخية، وبذل الوسع لإماطة اللثام عن كثير من جوانبه الّتي بدت قاتمة مشوهة بفعل الدّخلاء عليه، ممّن جنّدوا أنفسهم لهدم الدّين وطمس معالم الحقّ والتجنّي عليه[1].

## طمس معالم الحق

سبق أن أشرنا إلىٰ أنّنا نعرض الروايات الّتي يُدّعىٰ أنّها تسجّل سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله علىٰ القرآن الحكيم، ذلك لنبيّن مدىٰ صحّتها، ونحن لو راجعنا وصف هذا النبيّ العظيم في القرآن الكريم، لوجدناه يصفه بأنّه: «علىٰ خُلق عظيم»[2] و«خاتم النبيين»[3] ينهىٰ الناس عن الإستخفاف به «لاتجعلوا دُعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»[4] ويلعن الّذين يؤذونه «إنّ الّذين يؤذون اللّٰه و رسوله لعنهم اللّٰه»[5].

ولكنّا لو راجعنا بعض تلك الروايات الّتي يُدّعىٰ أنّها تسجّل لنا سيرته

(١) مقدمة: دراسات في التاريخ الاسلامي: ٨، ٩ للشيخ محمد باقر الناصري بتصرف.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الاحزاب: ٤٠.

(٤) النور: ٦٣.

(٥) الاحزاب: ٥٧.



www.noormags.com

لوجدناه فيها: طفلاً كسائر الأطفال، ورجلاً يتكلّم كسائر الجهال، بل أضعف عقلاً من سائر العقّال، فهو بحاجة دائمة إلىٰ من يشرف عليه ويدبّر شؤونه، ويأخذ بيده ويرشده، ويحلّ له مشاكله ويشدّ قلبه ويطمئنه، ويؤيّده ويساعده، وإلّا فهو يغضب فيكون غضبه عجزاً واضطراباً بل وسباباً[1] ويرضىٰ فيكون رضاه سخفاً وميوعة!.

وإلّا فكيف نفسّر: أنّه رأىٰ الرأي فنزلت الآيات تصوّب رأي غيره وتفنّد رأيه، فقعد يبكي؟! وأنّه كان له شيطان يعتريه ويأتيه في صورة جبرئيل! ثمّ أعانه اللّه عليه فأسلم! ولعلّه مِن فعل شيطانه أنه مرّ علىٰ سباطة قوم فبال قائماً! ثمّ شرب النبيذ؟! ثمّ إنّه رأىٰ زوجة ابنه بالتبنّي في حالة مثيرة فعشقها! وإنّه كان يعشق عائشة حتىٰ أنه حملها علىٰ عاتقه بطلبها لتنظر الىٰ رقص السودان في مسجده، وخدّها علىٰ خدّه! ثمّ إنّه ترك الجيش لينفرد بزوجته ليسابقها في الصحراء!! والطامة الكُبرىٰ الّتي شملت شيخ الأنبياء إبراهيم: أنّه كان أولىٰ بالشكّ من إبراهيم!! إلىٰ ماهنالك ممّا يزيد في قبحه علىٰ ماذكر أكثر بكثير، كلّ ذلك ممّا «قد فاجئتنا به الأنباء والسيّر» في المجاميع الحديثة وكتب السيرة! وفيها عن حياته الزوجية ماتتذمّر من ذكره فضلاً عن القيام بأمره! وأدهىٰ مافي الأمر وأمرّ أنّها مدوّنة في الكتب الّتي تُوصف بأنها أصّح كتاب بعد الذكر الحكيم، وهي تحاول أن تصوّر لنا سيدنا ومولانا ونبيّنا أفضل الأنبياء والمرسلين وأشرف السفراء المقرّبين!!

قال محقّقو سيرة ابن هشام في مقدّمتهم:

«ولعلّ النظر إلىٰ تراث السالفين ولاسيّما مايتصل منه بعلم السِّير ـ نظرة فيها الكثير من التقديس، هو الذي حال دون هؤلاء وهؤلاء أنْ يقفوا من هذا العلم

(١) كما مرّ عن صحيح مسلم.



www.noormags.com

موقفاً فقدناه في جميع المؤلفين المتقدّمين علىٰ اختلاف طبقاتهم، فلم نَرَ منهم من عرض لما تحمله السِّير بين دفتيها من أخبار تتّصف بالبعد عن الحقيقة، فنقدها وأتىٰ علىٰ مواضع الضعف منها. هذا ماحرمه هذا العلم في جميع أدواره السالفة إلىٰ ماقبل أيّامنا هٰذه بقليل، إذ رَأَيْنا الايمان بأنّ في السيرة: أخباراً لا تتصل بالحقّ في قليل ولاكثير، تصحبه الجُرأة ثمّ الإقدام، ورَأَيْنا فكرة جديدة تجري بها أقلام مجدّدة، يتناول أصحابها الخبر أوْ الخبرين من السيرة، ممّاكان يُتخَذ مطعناً علينا في شخص النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم أوْ مايتصل به، فخلّصوه ممّا لصق به مِمّا ليس منه، وأقاموا حوله سياجاً من الحجج والبراهين، صحّ بها وأصبح حجة علىٰ الطاعنين فيه.

ومثل هذا مافعله الأُستاذ الإمام الشيخ مُحمّد عبده في قصة النبيّ صلى الله عليه (وآله)وسلم، وتزويجه زينب بنت جحش من زيد بن حارثة، ثمّ ماكان من تزوّج الرسول صلى الله عليه (وآله)وسلم إيّاها بعد تطليق زيد لها مِمّا أرجف فيه الطاعنون ولغوا لغواً كثيراً.

ومنهم من عرض للكتاب في قصّة أوْ قصّتين منه فصاغها في أسلوب جديد، ومثّل للناس الخبر في قالب قصصي خرج به عن أسانيده وذكر رواته ـ تلك الطريقة الّتي هي سرّ تقديس هذه الأخبار في هذه الكتب! ـ فبدت المعاني في هذا القالب الجديد كما يبدو الجسد في الغلالة الرقيقة لاتكاد تُخفي منه شيئاً. وهذا الأُسلوب الجديد بما يتضمن من التّهكم بالفكرة السقيمة والخبر الغث، يخلق به المؤلف في القاريء روح التحفّظ في قبول الأفكار وتسلّمها.

ومنهم من جرىٰ مع ابن إسحاق في شوطه، فتناول السيرة كما تناولها ابن إسحاق، مبتدئاً بميلاد الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وماسبقه أوْ عاصره من حوادث، ثمّ جرىٰ يذكر حياة الرسول إلىٰ أن قبضه اللّه إلىٰ جواره، ناقلاً من الأخبار مايرىٰ فيها القرب من الحقّ، ومستبعداً مالايجري في ذٰلك مع فكرته ومايعتقد، مفنداً مزاعم



www.noormags.com

الطاعنين رادّاً علىٰ المكذبين. فجاء كتابه سيرة للرسول جديدة في إسلوبها، نقية من اللغو والهراء»[1].

أجل، اذا كان المتّجه إلىٰ هٰذه المَراجع ـ الصحاح وغيرها ـ مليء النفس بتقديس النصّ تقديساً عشوائياً ساذجاً، فهو يمتنع ويمنع عن تقويم النصوص تقويماً سلبياً يزنها بميزان الإعتبار.

ولا مسوغ لهذا التقديس ما لم يثبت أنّ هذا الحديث ممّا صدر عنه أوْ من شؤونه أوْ من صفاته، اللهمّ إلّا إذا كان لايعرف شيئاً ممّا يجب أنْ يتوفر في شخص رسول اللّه وخليفته وحجته علىٰ عباده، وكان خالي الذهن عن المنطلقات الأساسية والضوابط الحقيقية التي يجب أن يتوفر عليها من يحاول دراسة التأريخ بصورة علميّة، وسيرة الرسول الكريم بصورة خاصة[2].

## سحاب مركوم علىٰ الحقّ المظلوم

ونتساءل كيف حدث كلّ هٰذا الحديث الموضوع للنيل من كرامة الرسول الكريم صلّىٰ الله عليه وآله ؟ إنّ ذلك ناشيء من التعتيم الّذي اصطنعه بنو أُمية وبنو مروان علىٰ معالم الشخصية النبوية، مستفيدين من سياسة المنع من الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله بل إحراق ماكتبه كبار الصحابة عنه: ابتداء من الخليفة الأوّل إذ أحرق خمسمائة حديث كان قد جمعها هو من أحاديث رسول اللّه صلى الله عليه وآله[3]. ثمّ اشتدّ الأمرْ علىٰ عهد الخليفة الثاني فإنّه جمع ماكتبه الصحابة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ١: ح، ط.

(٢) انظر مقدمة الصحيح في السيرة ١: ١٦، ١٧.

(٣) راجع المصادر: النص والاجتهاد: ١٥١.



www.noormags.com

وأحرقه، ولعلّ ذلك بعد أن اتصل به كعب الأحبار الحبر اليهودي المسلم.

ولقد كان اليهود على فرقتين: فرقة تؤمن بالكتابة والتدوين وهم القرّيسيون، وفرقة أُخرىٰ تؤمن بوجوب الحفظ وعدم جواز كتابة شيء غير التوارة، ويقال لهؤلاء: القرّاء[1]، حيث ضعف أمر الفريسيين وكثر القرّاء، ويظهر أنّ كعب الأحبار كان من القرّاء، كما يظهر من جوابه لعمر حينما سأله عن الشعر، فكان ممّا قاله عن العرب: «قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم (أي يحفظونها علىٰ ظهر القلب) ينطقون بالحكمة» وقد كان كعب عند حُسن ظن الخليفة به فكان مقرّباً عنده، فلعلّه قَبِل هذه النظريّة من كعب الأحبار.

ويشهد لذلك مارواه ابن سعد في (الطبقات) والخطيب البغدادى في كتابه (تقييد العلم): ونقله عنهما الشيخ أبو ريّة في كتابه (أضواء علىٰ السُّنَةِ المُحمّدية) قالوا: كثرت الأحاديث علىٰ عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أنْ يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها ثمّ قال: مشنّاة كمشنّاة أهل الكتاب[2] أوْ قال: ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فاكبوّا عليها وتركوا كتاب اللّه، واني واللّه لا أشوب كتاب اللّه بشيء أبداً! فمنع من الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله إلّا بشاهد، ومنع كبار الصحابة عن الخروج من المدينة، واستعمل علىٰ الأمصار صغارهم ممّن لا اطلاع له في الدّين ولامعرفة له بأحكامه[3]. وروى ابن سعد في (الطبقات) والخطيب

(١) شرح ذلك النوري في كتابه الفارسي: لولؤ ومرجان: وفصله محمد حسن ضاضا في كتابه: التفكير الديني عند اليهود.

(٢) تقييد العلم: ٥٢ والطبقات ٥: ١٤٠ والأضواء: ٤٧ والنص المثنّاة والصحيح ما أثبتناه وهي: الروايات الشفوية.

(٣) كابي موسىٰ الأشعري حيث استعمله والياً علىٰ البصرة سنة ١٨ هـ وله ثمانية عشر سنة إذ ولد في السنة الاولىٰ للهجرة.



www.noormags.com

البغداديّ في كتابه الآخر (جامع بيان العلم وفضله) ونقله منها الشيخ أبو ريّة في كتابه (أضواء علىٰ السّنّةِ المُحمّدية): إنّ الّذين جاؤوا بعد عمر ساروا علىٰ نهجه في المنع عن الحديث إلّا حديثاً كان علىٰ عهد عمر[1].

فنتج عن سياسة المنع عن الحديث وعن كتابته أنْ نسي الناس سنن الرسول صلى الله عليه وآله حتىٰ في الصلاة التي هي عمود الدين وركن الإسلام والكتاب الموقوت الذي يؤدّيه المسلمون في كل يوم خمس مرات، أصبحوا لايعرفون أحكامها وحدودها، حتىٰ أقرب الناس إلىٰ مهبط الوحي والتنزيل الّذين يفترض فيهم أنْ يكونوا أعرف بأحكام الإسلام وشرائع الدّين ... إذن فكيف بحال غيرهم من عوام الناس؟! وما هو مدىٰ معرفتهم بدينهم وشريعتهم والحال كذلك؟! ولا سيّما الناس البعداء عن منابع الثقافة الإسلامية، وبالأخصّ فيما يقلّ الإبتلاء به.

فقد روىٰ البيهقي في سننه، والبلاذري في (أنساب الأشراف) والمتقّي الهندي في (كنز العمال) عن عبدالرزاق وابن أبي شيبة: أنّ عمران بن الحصين صلّىٰ خلف علي عليه السلام فأخذ بيد مطرّف بن عبدالله وقال: لقد صلّىٰ صلاة محمّد (ص) ولقد ذكّرني صلاة محمّد (ص)[2]. ولا شكّ في أنّ من سنن الرسول في الصلاة الجهر بالبسملة في الصلاة فكان علي عليه السلام يجهر بها، فبالغ بنو أُمية في المنع عن الجهر بها سعياً في إبطال آثار علي عليه السلام[3] حتىٰ روىٰ النسائي والبيهقي في سننهما عن ابن عبّاس انّه كان يقول: اللهُمَّ العنهم فقد تركوا السُّنن ببغض عليّ[4] حتىٰ بلغ الحال

(١) الطبقات ٣ ق ١: ٢٠٦ وجامع بيان العلم ١: ٦٤ والاضواء: ٤٧.

(٢) سنن البيهقي ٢: ٦٨ وانساب الاشراف ٢: ١٨ وكنز العمال ٨: ١٤٣.

(٣) الصحيح في السيرة نقلاً عن تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ١: ٧٩.

(٤) نقلاً عن تعليقه السندي بهامش سنن النسائي ٥: ٢٥٣.



www.noormags.com

بالناس علىٰ عهد عليّ بن الحسين عليه السلام أنْ كانوا لا يعرفون كيف يحجّون بل حتّىٰ كيف يصلّون[1] ولذٰلك تجرّأ ابن الزبير علىٰ أنْ يقدّم الصلاة قبل الخطبة يوم الجمعة، كما رواه الشافعي في كتابه (الأمّ) عن وهب بن كيسان، ثمّ قال: كلّ سنن رسول اللّٰه قد غُيّرت حتّىٰ الصلاة[2].

ولذٰلك نجد الإمام السجّاد عليه السلام يقول في دعائه يوم الجمعة ويوم الأضحىٰ: «اللّهم إنّ هٰذا المقام لخلفائك وأصفيائك، و مواضع اُمنائك في الدرجة الرفيعة التّي اختصصتهم بها قد ابتزّوها. حتّىٰ عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حكمك مبدّلاً وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرّفة عن جهات شرعك، وسنن نبيّك متروكة»[3].

وروىٰ ابن سعد في (الطبقات) عن الزهرّي قال: دخلت علىٰ أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مِمّا أدركت، إلّا هٰذه الصلاة وقد ضيعت[4].

وروىٰ الإمام مالك بن أنس بن مالك في كتابه (الموطّأ) عن جده مالك قال: ماأعرف شيئاً مِمّا أدركت الناس إلّا النداء بالصلاة[5]. واستثنىٰ الحسن البصري القبلة فقط فقال: لو خرج عليكم أصحاب رسول اللّٰه ماعرفوا منكم إلّا قبلتكم[6].

(١) كما عن كشف القناع عن حجية الاجماع: ٦٧.

(٢) كتاب الام للشافعي ١: ٢٠٨.

(٣) الصحيفة السجادية الدعاء: ٤٨.

(٤) صحيح الترمذي: ٣: ٣٠٢ وجامع بيان العلم ٢: ٢٤٤ والزهد والرقائق: ٥٣١ وضحى الاسلام ١: ٣٦٥.

(٥) الموطا ١: ٩٣ وشرحه ١: ١٢٢.

(٦) جامع بيان العلم ٢: ٢٤٤.



www.noormags.com

ولم يستثنِ عبدالله بن عمرو بن العاص شيئاً إذ قال: لو أنّ رجلين من أوائل هذه الأُمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولايعرفان شيئاً مِمّا كان عليه[1].

ومع هذه الحال فمن الطبيعي أن يروج سوق الوضّاعين الكذّابين وأن يصبحوا هم مصدر العلم والمعرفة والثقافة للأمة المسلمة. هكذا شاء الحكّام، وهكذا استحقّ المحكومون إذ ابتعدوا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[2].

أمّا لِماذا حاول بنو أُمية ورواتهم أنْ يستفيدوا من هذا الفراغ المفتعل بفضل المنع عن الحديث، للنيل من كرامة الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسائر المقدّسات الإسلامية؟ فإنّ ذلك يعود إلى:

أنّ الحقد والعداء الأموي الموروث من القديم ضد بني هاشم ـ بما فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يدعهم مقتنعين بأنّه نبيّ مرسل حقاً:

فقد قال أبو سفيان للعبّاس لمّا رأى كثرة زُحام الناس على التبرك بماء وضوء النبي يوم فتح مكّة: ياعبّاس! واللّه لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً! فقال: ويحك إنّها النبوة! فقال: نعم!

وقال معاوية لمّا سمع المؤذّن يقول: أشهد أن لاإله إلّا اللّه: للّه أبوك يابن عبداللّه! لقد كنت عالي الهمّة، مارضيت لنفسك إلّا أن يُقرن اسمك باسم ربّ العالمين[3].

(١) الزهد والرقائق: ٦١.

(٢) والموضوع مهم وبحاجة الى تحقيق وبحث، آمل ان اوفق لاخراج كتاب لي في هذا الموضوع.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٠١ عن أحمد بن أبي طاهر في كتاب (أخبار الملوك).



www.noormags.com

وقال للمغيرة بن شعبة ـ بعد أن ذكر ملك أبي بكر وعمر وعثمان وأنّهم هلكوا فهلك ذكرهم ـ: وإنّ أخا هاشم! يُصرخ به في كلّ يوم خمس مرات: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، فأيّ عمل يبقىٰ مع هٰذا؟! لا أمّ لك ... لاواللّه إلّا دفناً دفناً[1] ولمّا سمع المأمون بالخبر أمر بلعنه[2].

وقال ـ أوْ تمثل ـ ابنه يزيد بقول ابن الزبعرى يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولاوحي نزل
لست من خندف إنْ لم أنتقم من بني أحمد ماكان فعل[3]

وتبعه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان يقول:

تلعّب بالخلافة هاشميّ بلا وحي أتاه ولاكتاب
فقل للّه: يمنعني طعامي وقل للّه يمنعني شرابي[4]

وقرأ ذات يوم «واستفتحوا وخاب كُلّ جبّار عنيدٍ من ورائه جهنّم ويسقىٰ من ماء صديد»[5] فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنّشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعدُ كلَّ جبارٍ عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربّك يوم حشر فقل: ياربّ خرّقني الوليد[6]

وكان الوليد هٰذا مهملاً لأمره قليل العناية بأطرافه، وكان صاحب ملاهٍ وقيان، وإظهار للقتل والجور، وتشاغل عن أُمور الناس بشرب ومجون، فبلغ من

(١) نقلاً عن الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٧٧ ومروج الذهب ٣: ٤٥٤ وشرح نهج البلاغة ٥: ١٢٠.
(٢) الطبري ١٠: ٢٨٤ ومروج الذهب ٤: ٤١١.
(٣) الطبري ١٠: ٢٨٦.
(٤) مروج الذهب ٣: ٢٢٨.
(٥) ابراهيم: ١٥، ١٦.
(٦) مروج الذهب ٣: ٢٢٩.



www.noormags.com

مجونه أنّه أراد أن يبني علىٰ الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو، ووجّه مهندسا لذلك[1] مجوسياً ليبني له علىٰ الكعبة مشربة للخمر، وأراد أنْ ينصب قبّة ديباج علىٰ الكعبة ويجلس فيها ومعه الخمر، فخوّفه أصحابه من ثورة الناس فامتنع[2].

ب ـ ولذٰلك فهم ـ كما رأينا ـ كانوا يريدون القضاء علىٰ هذا الدّين ودفنه نهائيّاً، وذلك لأنّه كان يقف في وجه شهواتهم ومآربهم ويضرّ بمصالحهم.

ج ـ وبالتصوير المشوّه للرّسول الكريم والإسلام العظيم كانوا يحاولون تسويغ كلّ انحرافات وسخافات الجهاز الحاكم، والتقليل من فضاعتها وبشاعتها في أعين الناس، وذلك برفع الفوارق الكبيرة بين مواقفهم ومواقف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

أمّا مايمثّل لنا شخصية الرسول الكريم المستهدفة للأُمويين فلنذكر منه نماذج:

١ـ نسمع الكميت بن زيد الأسدي يمدح الرسول الكريم فيقول في قصيدته البائيّة:

إلىٰ السراج المنير أحمد، لا يعدلني عنه رغبة ولا رهب
عنه إلىٰ غيره، ولو رفع النا س إليّ العيون وارتقبوا
وقيل: افرطت. بل قصدت ولو عنّفني القائلون، أوْ ثلّبوا!
اليك ياخير من تضمّنت الأر ض وإنْ عاب قولي العيّب
لجّ بتفضيلك اللسان ولو أُكثر فيك الضجاج واللّجب

فيا ترىٰ من الذي يحاول أن يعدل به عن مدح النبي صلىٰ الله عليه وآله بالترغيب والترهيب؟ ومن يرتقبون أن يُمدح عوضاً عنه عليه الصلاة والسلام؟ ويا ترىٰ بماذا خاطب

(١) اليعقوبي ٣: ٧٥.

(٢) عن الأغاني والطبري في نهج الصباغة ٥: ٣٤٠.



www.noormags.com

الكميت النبيّ صلّى الله عليه وآله غير أن يقال له: ياخير من تضمّنت الأرض! حتىٰ يقال له: أفرطت في مدحه! من الذي يعنّفه ويثلّبه ويعيبه؟ ومن الّذي يكثر الضجاج واللجب علىٰ النبي صلى الله عليه وآله؟!

ولعلّه قد أحسّ بأمر خطير خلف هذه السياسة الأموية فقال في أُخرىٰ:

رضوا بخلاف المهتدين، وفيهم مخبّأة أُخرىٰ تصان وتحجب

فلعلّه يقصد بالمخبّأة الأُخرىٰ تخريب دين النبي صلّى الله عليه وآله بعد تشويه سمعة شخصه:

أوْ ماذكره الرجاليّون وأصحاب الطبقات في ترجمة خالد بن سلمة المخزومي الشهير بالفأفاء: انّه كان ينشد بني مروان هجو النبي صلى الله عليه وآله[1].

وقد سبق هذا ماذكروه في ترجمة عمرو بن العاص أنّه لم يرض بضرب نصرانيّ سبّ النبي صلّى الله عليه وآله[2].

ولحقَ هذا مارواه المؤرّخون في علل خروج زيد بن علي بن الحسين (رض): أنّه دخل علىٰ هشام بن عبد الملك فسمع أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يسبّ عنده فلم يذكره ولم يغيّر علىٰ قائله[3].

أوْ أنّه يقصد بالمخبّأة مارواه ابن عبد ربّه الأندلسي في (العقد الفريد): أنّ الحجّاج كتب إلىٰ عبد الملك: أنّ خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذٰلك الخلفاء ياأمير المؤمنين أعلىٰ منزلة من المرسلين[4].

---

(١) انظر دلائل الصدق للمظفر ١: ٢٩، وراجع: بحوث مع اهل السنة والسلفية: ١٠١.

(٢) الإصابة ٣: ١٩٥ عن البخاري في تأريخه بإسناد صحيح، والإستيعاب بهامش الإصابة ٣: ١٩٣.

(٣) انظر كشف الغمة للأربلي ٢: ٣٥٢ وكتب التراجم والرجال في ترجمة زيد (رض).

(٤) عن العقد الفريد ٢: ٣٥٤.



www.noormags.com

ولئن كانت هٰذه مخبّأة يوماً فإن ذٰلك لم يدم طويلاً حتّىٰ حجّ الحجّاج ورأىٰ الحُجّاج يطوفون بقبر الرسول ومنبره بالمدينة فقال: تباً لهم إنّما يطوفون بأعواد وَرِمّة بالية! هَلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟!

قال المبرّد، انّ ذلك ممّا كفّرت به الفقهاء الحجّاج[1].

وبهذه النظرة فلا مانع لديه أنْ يرمي الكعبة بالمنجنيق ـ بل كما قِيل ـ بالعذرة أيضاً[2].

ولا يرىٰ أية حرمة لمقام إبراهيم عليه السلام فيحاول أنْ يضع رجله علىٰ المقام فيزجره عن ذٰلك محمد بن الحنفية[3].

و علىٰ هذه النظرة أيضاً: «هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك» فلا استبعاد لما احتمله السيد المرتضىٰ العاملي: أن يكون الحجاج حين بنىٰ مدينة (واسط) في العراق وسطاً بين الكوفة والبصرة، حوّل قبلتها من جهة الحجاز (الكعبة) الىٰ جهة الشام: إمّا قصر أمير المؤمنين(!) أوْ قبّة الصخرة الّتي بناها وأمر الناس بالحجّ إليها:

فقد ذكر اليعقوبي: أنّه لمّا استولىٰ ابن الزبير علىٰ مكّة والحجاز كان يأخذ الحُجّاج بالبيعة له فلمّا رأىٰ ذٰلك عبد الملك منعهم من الخروج الىٰ الحج، فضجّ الناس وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت اللّه الحرام وهو فرض من اللّه علينا؟! فقال لهم: هذا ابن

(١) عن الكامل للمبرد ١: ٢٢٢ وسنن ابي داود ٤: ٢٠٩ وشرح نهج البلاغة ١٥: ٢٤٢ والنصائح الكافية عن الجاحظ: ٨١، ونقل جدلاً حوله الدكتور طه حسين في كتابه: الايام.

(٢) عن الفتوح لابن الأعثم الكوفي المتوفى ٣١٠ ج ٢: ٤٨٢ وعقلاء المجانين: ١٧٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٥: ٨٤ والمصنف لعبد الرزاق ٥: ٤٩ وربيع الابرار ١: ٨٤٣.



www.noormags.com

شهاب الزهري يحدّثكم: أنّ رسول اللّه قال «لاتُشدّ الرّحال إلّا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس» فهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام! وهذه الصخرة الّتي يروي: أنّ رسول اللّه وضع قدمه عليها لمّا صعد الىٰ السماء، تقوم لكم مقام الكعبة!. فبنىٰ علىٰ الصخرة قبّة وعلّق عليها ستور الدّيباج وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأنْ يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة! وأقام بذٰلك أيام بني أُمية[1].

وإلىٰ هذا أشار الجاحظ في بعض آثاره فقال في المفاضلة بين بني هاشم وبني أُمية: وتفخر هاشم بانهم لم يهدموا الكعبة، ولم يحوّلوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة[2].

ويفصّل هذا أيضاً في بعض رسائله فيقول: حتّىٰ قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بالهدم و علىٰ حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة واستباحوا الحرمة، وحوّلوا قبلة واسط ـ إلىٰ أنْ قال ـ فأحسب أنّ تحويل القبلة كان غلطاً، وهدم البيت كان تأويلاً، وأحسب ماروَوا من كلّ وجه: أنّهم كانوا يزعمون: أنّ خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم[3] ...

واحتمل السيد المرتضىٰ العاملي: أنْ يكون هٰذا هو سر استحباب التياسر في القبلة لأهل العراق دون غيرهم عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ويظهر أنّ خصوم الشيعة قد التفتوا إلىٰ هٰذا منهم، ولذٰلك كانوا يتّهمون من يتحرّىٰ القبلة بالرفض.

(١) تاريخ اليعقوبي ٣: ٨، وحياة الحيوان ١: ٦٦ والبداية والنهاية ٨: ٢٨٠ والاناقة في معالم الخلافة ١: ١٢٩. وانظر بحثاً في هذا في السُّنّة قبل التدوين: ٥٠٢ ـ ٥٠٦.

(٢) عن آثار الجاحظ: ٢٠٥.

(٣) عن رسائل الجاحظ ٢: ١٦.



www.noormags.com

فقد روىٰ الخطيب البغدادي: أنّ قاضي واسط أسد بن عمرو قد رأىٰ قبلة واسط رديئة فتحرّف فيها فاتُّهِم بالرفض[1].

٢ـ والمقايسة بين الرسول والخليفة، والتوهين بالكعبة لم يكن يقتصر علىٰ الحَجّاج، بل روىٰ أبو الفرج الإصبهاني الأُموي: أنّ خالد بن عبد اللّه القَسْري عامل هشام بن عبد الملك علىٰ مكّة ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: أيّما أكرم: رسول الرجل في حاجته أوْ خليفته في أهله؟! يُعرّض أن هشاماً خير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2].

وروىٰ عن أبي عبيدة قال: خطب خالد القسري يوماً فقال: إنّ إبراهيم الخليل استسقىٰ اللّه ماء فسقاه اللّه ملحاً أُجاجاً (يقصد زمزم) وإنّ أمير المؤمنين استسقىٰ اللّه ماءً فسقاه عذباً نقاخاً[3] يقصد العين التي أجراها لسليمان بن عبد الملك بمكة قبل أن يحجّ إليها وأجراها إلىٰ المسجد الحرام[4].

وروي أنّه قال لغلامه يوماً: ابن أُمّي! أيّما أعظم: ركيّتنا أم زمزم؟! فقال له: أيّها الأمير من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الملح الأُجاج؟! وكان يسمّي زمزم: أُمّ الجعلان[5].

وروي عن المدائني: أنّ خالداً كان يقول: لو أمرني أمير المؤمنين لنقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها الى الشام[6].

(١) عن تاريخ بغداد ٧: ١٦ ونشوار المحاضرة ٦: ٣٦.
(٢) الاغاني ١٩: ٦٠.
(٣) الاغاني ١٩: ٦٠.
(٤) اليعقوبي ٣: ٣٨.
(٥) الاغاني ١٩: ٥٩.
(٦) الاغاني ١٩: ٦٠.



www.noormags.com

وروي أنّه حبس بعض التابعين فأعظم الناس ذلك وأنكروه فبلغه ذلك، فخطب فقال: قد بلغني ماأنكرتم من أخذي عدوّ أمير المؤمنين ومن حاربه، واللّه لو أمرني أمير المؤمنين أنْ أنقض هٰذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها! واللّه لأمير المؤمنين أكرم علىٰ اللّه من أنبيائه[1].

٣ـ وتحامل ابن الزبير علىٰ بني هاشم تحاملاً شديداً وأظهر لهم العدواة والبغضاء، حتّىٰ بلغ ذلك منه أنّه ترك الصلاة علىٰ مُحمّد صلّىٰ الله عليه وآله في خطبته! فقيل له: لِمَ تركت الصلاة علىٰ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله؟ فقال: إنّ له أُهيل سوء يشرئبّون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به! وأخذ أربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم منهم محمّد بن الحنفية وعبد اللّه بن عبّاس امتنعوا عن بيعته فحبسهم وهدّدهم أنْ يحرقهم بالنار: وقام خطيباً فنال من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولمّا عجز عنهم أخرجهم من مكة، فأخرج محمّد بن الحنفيّة إلىٰ رضوىٰ وعبد اللّه بن عبّاس إلىٰ الطائف حتّىٰ توفي ابن عباس بها سنة ٦٨ هـ[2].

واعتبروا أقوال الصحابة حجة كقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: قال الشيخ أبو زُهرة في كتابه عن الإمام مالك: ووجدنا مالكاً يأخذ بفتواهم ـ أي الصحابة ـ علىٰ أنّها من السُّنّةِ، ويوازن بينها وبين الأخبار المرويّة إنْ تعارض الخبر مع فتوىٰ صحابي! وهٰذا ينسحب علىٰ كلّ حديث عنه صلى الله عليه وآله حتّىٰ ولو كان صحيحاً[3].

ونقل هٰذا السيد المرتضىٰ العاملي في مقدمته لسيرته ثمّ علّق عليه

---

(١) الاغاني ١٩: ٦٠.

(٢) اليعقوبي ٣: ٨.

(٣) عن كتاب: الامام مالك لابي زهرة: ٢٩٠.



www.noormags.com

يقول: وليس هٰذا إلّا لأنّ شـأن رسول اللّٰه لم يكن عند هؤلاء في المستوىٰ الطبيعي اللائق به كما هو ظاهر. ثمّ نقل عن (الرسائل المنيرية) قولـه: والعجب منهم من يستجيز مخالفة الشافعي لنصّ لـه آخر في مسألة بخلافه، ثمّ لا يـرون مخالفته لأجل نـصّ رسـول اللّٰه[1].

هٰذه هي صورة عن مكانة النبيّ صلى الله عليه وآله وتعاليمه وقيمة أقواله لديهم، نكتفي منه بهذا.

ونقول: إنّ وجود هٰذه الخطط الّتي استهدفت شخصية الرسول الكريم بل كلّ المقدّسات الإسلامية، توجب علينا أن نقوّم نصوص سيرته وروايات تأريخه وتأريخ الإسلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الصحيح ١: ٢٤ عن مجموعة الرسائل المنيرية: ٣٢.



www.noormags.com